أخلاق الفرد عند أفلاطون من خلال فضائل النفس الإنسانية وفكرة الخير الأقصى

د. مفتاح سليمان محمد أبو شحمة
كلية الآداب – جامعة مصراتة

مقدمة:

بالرغم من أن أفلاطون قد بدأ محاورته الكبرى "الجمهورية" بالحديث عن أخلاق الدول ودساتيرها المتنوعة إلا أن السياسة عنده لم تكن إلا وسيلة لغاية أهم، وهي الوصول بالأخلاق الفردية إلى ما يريد لها من كمال، وذلك من خلال معرفة مفهوم فضائل النفس الإنسانية وفكرة الخير الأقصى.

إن هذا عند أفلاطون يتضح من خلال الوقوف على حقيقة قوى النفس الإنسانية وفضيلة كل منها، وذلك عن طريق وجود "العقل" الذي به يدرك الناس جوهر ومعنى السلوك العقلاني للقيم الأخلاقية، وتتحقق عندهم خصال الانسجام والنظام الذي به تتبلور فكرة الخير الأقصى، الذي هو غاية الفعل الأخلاقي المتمثلة في الزهد وإماتة الشهوات، والسعي وراء خلوص النفس إلى حياة المثل عن طريق التأمل الفلسفي الذي هو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك.

إذن، على هذا النحو تشكل التصور الأفلاطوني لأخلاق الفرد، من خلال إيضاح مفهوم فضائل النفس الإنسانية وعلاقتها بفكرة الخير الأقصى، وهذا ما سنقوم بدراسته في هذا البحث وفق فرضية تداخل أقسام النفس الإنسانية وفضائلها الواردة في نظرية الوجود عند أفلاطون، وما مدى علاقتها بفكرة الخير الأقصى المتمثلة في البناء الفلسفي الأفلاطوني ككل ولاسيما نظرية الأخلاق.

وعلى أي حال، إن ما دفعنا لاختيار دراسة هذا الموضوع؛ هو محاولة لإظهار الترابط العلائقي الذي يتسم به الفكر الأفلاطوني في جُل مباحث الفلسفة، أعني: (الوجود والقيم والمعرفة). فمن هنا تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع الذي اعتمدنا في دراسته وبحثه على استراتيجية معرفية، تقوم على المنهج: السردي التاريخي في العرض، والمنهج التحليلي النقدي

المقارن في المعالجة، معتمدين فيها على أهم المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث، وبخاصة محاورات أفلاطون ذات العلاقة، وذلك كله تم في إطار مبحثين رئيسيين هما:

المبحث الأول: "أخلاق الفرد من خلال فضائل النفس الإنسانية" ونتطرق فيه إلى أقسام النفس الإنسانية وفضيلة كل منها وعلاقتها ببعضها.

المبحث الثاني: "أخلاق الفرد من خلال فكرة الخير الأقصى" فإنه يقوم على دراسة وتتبع فكرة الخير الأقصى وعلاقتها بفضائل النفس الإنسانية، وكيفية تحقيقها.

وفي نهاية هذا البحث نضع خاتمة فيها أهم النقاط التي تم استخلاصها من أخلاق الفرد من خلال مفهوم فضائل النفس الإنسانية، وكذا أخلاق الفرد من خلال فكرة الخير الأقصى، وما مدى ارتباط كل منهما.

أولًا: أخلاق الفرد من خلال مفهوم فضائل النفس الإنسانية:

إذا نظرنا إلى قول أفلاطون[1]، في أخلاق الفرد من خلال فضائل النفس الإنسانية، نجده قائمًا على التمييز بين اللذة والألم من جهة، وبين الفضيلة والرذيلة من جهة أخرى، وذلك

1- أفلاطون هو (أرستقليس بن أرستون)، ولقب باسم أفلاطون بسب عرض جبهته وعظيم بسطته، ولد في أثينا عام: (428 / 348 ق م) ونشأ نشأة عالية تناسب الثقافة الرفيعة التي حفلت بها أثينا في ذلك الوقت، حيث تتلمذ على "قراطيلوس" الذي هو من أتباع "هيرقليطس" وأيضًا "سقراط" الذي: يُعد صاحب الفضل الحقيقي في بلورة أفكاره الفلسفية فيما بعد. لقد كتب أفلاطون العديد من المحاورات والرسائل، زعم البعض بأنها بلغت ستة وثلاثين مصنفًا، تناول فيها أفلاطون آراءَهُ الفلسفية المتمثلة في: نظرية المعرفة، وما لها من جانب سلبي خصصه لتفنيد وهدم الأفكار والنظريات الزائفة، الناتجة عن توحيد المعرفة بالإدراك الحسي والبرهان الاستدلالي، وذلك لكي يُمهد الطريق أمام الجانب الإيجابي لنظريته في المعرفة، ذاك الذي به يتحدد هدف فلسفته كلها والمتمثل في نظريته "للمثل" التي تعني عنده العلم بصورته اليقينية الحقة، المتمثلة في معرفة المبادئ الكلية الثابتة والمفارقة للأشياء والواقع المحسوس، وذلك لكون المثل لم تُعد مجرد أفكار أو مفاهيم أو تصورات عقلية تنظم الفكر، بل تطورت لتشمل الوجود الحقيقي الواقعي، الذي تقاس واقعيته بالمبادي الكلية المفارقة للأشياء التي هي المثل نفسها، وذلك كله يتم عند أفلاطون عن طريق الجدل (صاعد وهابط) الذي به ينحدر مصدران للتجربة الإنسانية، يتمثل الأول: في الإدراك الحسي، الذي لا يمتلك وجودًا إلا بقدر ما تكون المثل فيه، ومن ثم فهو

عند محاربته للسوفسطائيين وأتباعهم القائلين باللذة، من واقع نظرهم للقانون الخلقي الذي هو عندهم يجب أن يخشاه الناس؛ لكونه من وضعهم هم لا من وضع الطبيعة التي هي تعارضه وتأباه(1).

إن هؤلاء يقولون: إنه وبحسب الطبيعة فإن الأمر الأقبح هو الأخسر، والأخسر تحمل الظلم، وبحسب القانون الخلقي فإن ارتكاب الظلم هو الأخسر والأقبح.

لقد نشأ هذا التباين عند هؤلاء السوفسطائيين من خلال اعتقادهم أن القانون الخلقي سنة الضعفاء وعامة الناس، الذين قصدوا إلى تخويف الأقوياء وصدهم عن التفوق عليهم، غير أن الطبيعة بحسب قولهم تقدم الدليل على أن العدالة الصحيحة تقضي بأن يتفوق الأحسن والأقدر، وذلك على أساس أن علامة العدالة تتمثل في سيادة القوي على الضعيف، ومن ثم على هذا الضعيف أن يذعن لهذه السيادة.

إن العدالة والفضيلة والسعادة بحسب الطبيعة عندهم، توجب على الإنسان أن يتعهد في نفسه أقوى الشهوات، ثم يستخدم ذكاءه وشجاعته لإرضائها مهما تبلغ من قوة، مع التظاهر بالصلاح لإسكات العامة والانتفاع بحسن الصيت، ولا يتسنى هذا لغير الرجل القوي؛

مجرد ظلال للمثل صيغت على نمطها. أما المصدر الثاني: فهو يتمثل في العقل، الذي به نصل إلى إدراك المثل. هذا فيما يخص قول أفلاطون في مصدري التجربة الإنسانية، الناتجة عن نظرية المثل: أما إذا نظرنا إلى موقفه من نظرية الوجود فإننا نقف على قوله بوجود نفس للعالم، وأن هذه النفس تتوسط بين عالم المثل وعالم الحس، وهي تشبه المثل في أنها غير مادية وخالدة، كما تشبه عالم الحس في أنها تشغل حيزًا من المكان. والحال أيضًا في وجود النفس الإنسانية التي هي عند أفلاطون مماثلة في النوع لنفس العالم، فهي علة حركة الجسم وفيما يستقر العقل، ولها وشائج بعالم المثل وعالم الحس معًا. انظر: زكي نجيب محمود، أحمد أمين: "قصة الفلسفة اليونانية"، مكتبة النهضة المصرية، ط8، ب ت، ص 130. وكذلك: البير ريغو: "الفلسفة اليونانية"، ترجمة: أبوبكر زكي، دار العروبة، القاهرة، ب ت، ص 202. وكذلك: عزت قرني: "الفلسفة اليونانية فبل أرسطو"، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ب ت، ص 112.

1- يوسف كرم: "تاريخ الفلسفة اليونانية"، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط 5، ب ت، ص 63.

لذا ترى العامة تعنف الذين تعجز عن مجاراتهم لتخفي بهذا التعنيف ضعفها وخجلها من هذا الضعف، وتعلن أن الإسراف في هذا عيب وخطأ، محاولة بذلك أن تستبعد ميزته الطبيعية من هؤلاء الرجال الأقوياء، ومن ثم تُشيد بالعفة لقصورها عن إرضاء شهواتها الإرضاء التام، وكذلك تُشيد بالعدالة لجبنها وقعودها عن عظائم الأمور، ولو صح ما تقول من أن السعادة في الخلو من الحاجات والرغبات، لوجب أن ندعو الأموات والأحجار سعداء[1].

((وهكذا تكون أفكارك عن العادل والظالم في ضلال مطبق، فإنك لا تعرف إن العدل والعادل هما خير الآخر في الحقيقة وكما يقال فائدة الأقوى، وليس المرؤوس والخادم، وإن الظلم ضد ذلك؛ لأن الظالم وهو السيد فوق العادل السيد الحقيقي: إنه الأقوى يفعل مرؤوسوه ما هو لفائدته، وما يؤدي لإسعاده، ولا يعود بالنفع عليهم لا من قريب ولا من بعيد، واعتبر أبعد من ذلك ياسقراط –الكثير الغباء– فالعادل دائمًا الخاسر بالمقارنة مع الظالم في كل المجالات))[2].

هكذا هي دعاوى السوفسطائيين في قولهم باللذة من واقع نظرتهم للقانون الخلقي، الذي به يتحدد موقفهم الأخلاقي، على أساس أن الحق هو ما يبدو لي حقًّا، وأن الباطل هو ما يبدو لي باطلًا، فالخير عندهم هو ما أريد، وأن الشر هو ما لا أريد، ومن ثم تصبح الفضيلة متمثلة في لذة الفرد، وأنه لا يوجد شيء خير في ذاته، وإنما الأشياء لا تكون خيّره إلا بالنسبة لي أنا، أو بالنسبة لك أنت، وبهذا تكون اللذة والخير شيئًا واحدا فقط، وذلك على أساس أن الخير يطلب من أجل اللذة لا العكس، فالعمل الذي يعود علينا باللذة عمل خير، والعمل الذي يسُبب لنا ألما عمل شرير، وبالتالي يكون الخير هو ما يسُبب لذة لنا، تلك التي هي ليست لذة

1- محمد فتحي عبد الله – جيهان شريف: "الفلسفة اليونانية مدارسها وأعلامها"، ج 1، من طاليس إلى أفلاطون، دار الملكة لنشر وتوزيع الكتب الجامعية، القاهرة، 2003 م، ص317.

2- أفلاطون: "محاورة الجمهورية"، ك "1"، ترجمة ودراسة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974 م، ص66.

الآخرين، فمن ثم إنه عندما نقرر أنه يجب علينا أن نقوم بما هو صواب لا من أجل أنه صواب بل من أجل اللذة فقط.

لقد حارب أفلاطون وانتقد كل هذه التصورات والمزاعم السوفسطائية، وذلك على أساس أنه لا تعارض بين القانون الخلقي والطبيعة التي هي دائمًا عنده تكون مفهومة على حقيقتها، تلك الحقيقية التي تحتم على الإنسان أن يعدل عن اللذة إلى المنفعة، وأن يحكم على الأولى بالثانية، وذلك على أساس قانون النظام والتناسب الذي إذا اختل فقد الشيء قيمته وفضيلته، فالذين نسميهم أخيارًا يحسون اللذة والألم على السواء، فليس الأخيار باللذة بل بالخير، وليس الأشرار أشرار بالألم بل بالشر، وكما إن الكيفية التي تحدث في الجسم عن النظام والتناسب تدعي الصحة والقوة، فإن النظام والتناسب في النفس يسميان القانون والفضيلة[1].

إن هذا القانون وهذه الفضيلة عند أفلاطون يجب أن يتأسسا على حقيقة ثابتة ومعيار موضوعي للخيّرية، وذلك على اعتبار أن غاية النشاط الأخلاقي يجب أن تقع داخل الفعل الأخلاقي لا خارجه، فالأخلاقيات يجب أن تكون لها قيمة باطنية لا مجرد قيمة خارجية، ومن ثم لا يجب أن نقوم بما هو صواب؛ لأنه صواب، فالفضيلة الأخلاقية ما هي إلا غاية في ذاتها[2].

((عندما تتكلم عن الأشياء الجميلة، كالأجسام، والألوان والأشكال، والأصوات، وطرق الحياة، ألا تسميها جميلة في دلالة دائمة على مقياس ما؟ خد الأجسام أولًا: ألا تسميها جميلة إما لأغراض استعمالها التي تختص بها، أو اللذة التي تهز مشاعر المتفرج عندما يراها؟ هل بإمكانك أن تُعطي أي حساب آخر للجمال الشخصي؟))[3].

1- يوسف كرم: "تاريخ الفلسفة اليونانية"، ص94، 95.

2- عبد الرحمن بدوي: "موسوعة الفلسفة"، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، ط1، 1984م، ص161.

3- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة جور جياس"، ترجمة: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط1، 1994م، ص350.

إن الفضيلة التي ينشدها أفلاطون هي المتمثلة في الفعل الحق، المنطلق من فهم عقلاني للقيم الأخلاقية فمعرفة الأخلاق يجب أن تكون معرفة موضوعية وكلية جامعة، تتجاوز حدود الإنسان الفرد، فالشيء الجامع العام ليس ضروريًّا للوعي والإدراك الأخلاقي فحسب؛ بل هو أيضًا ضروري لكل معرفة حقيقية؛ لكونه يقود إلى السلوك الواعي الأخلاقي، المتأسس على شيء عام مشترك بين جميع الناس؛ إنه "العقل" الذي يدرك جوهر ومعنى هذا السلوك.

((من يكون عقله مركزًا على الوجود الحقيقي لا يملك وقتًا بالتأكيد كي ينظر تحتيًّا في مشاكل الأرض، أو أن يكون ممتلئًا بالمكر والحسد متباريًا في مضادة الرجال، إن عيونه مصوبة نحو الأشياء الثابتة وغير القابلة للتغيرات التي يراها لا تؤذي الآخرين، ولكن الكل متحرك بانتظام طبقًا للعقل))[1].

إنه العقل الذي يفرّق به أفلاطون بين نوعين من الفضائل: "الفلسفية والاعتيادية"، فالأولى عنده تتأسس على العقل وتفهم المبدإ الذي على أساسه تسلك؛ لكونها فعلا محكومًا بالمبادئ العقلية، أما الفضيلة الاعتيادية فهي الفعل الحق المنطلق من أي أسس أخرى كالعادة، والمألوف والتقاليد والدوافع الخيّرة والمشاعر والغريزة... فالناس في هذا النوع من الفضائل الاعتيادية يفعلون الصواب لمجرد أن الآخرين يفعلونه؛ لأنه شيء معتاد، وهم يفعلونه دون أن يفهموا أسبابه[2].

إن أفلاطون يعتبر هذا النوع من الفضائل الاعتيادية وسيلة نحو بلوغ الفضيلة الفلسفية؛ لأن هذا الفرد لا يستطيع أن يرتقي دفعة واحدة إلى مصاف الفضيلة العقلانية "الفلسفة"، وبالتالي فهو محتاج إلى أن يمر من خلال مرحلة تمهيدية من الفضائل المعتادة المألوفة "الفضيلة

1- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة الجمهورية"، ك 6، ص229.

2- وولتر ستيس: "تاريخ الفلسفة اليونانية"، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م، ص350.

الاعتيادية"، وذلك على أساس أنه لم يستيقظ فيه العقل بعد؛ لذا يجب بث العادات والصفات الطيبة فيه عن طريق تبنيه للفضائل الاعتيادية، والتي بها يجد العقل الأساس معدًّا.

إن أفلاطون يؤكد بأن الأخلاق لا تُكتسب من دراسة أمثلة جزئية للسلوك الأخلاقي، أو من استقراء للفضائل كما تمارس؛ بل يرى أنه ينبغي أن تكون هناك غاية عُليا، تتحدد من خلالها قيمة السلوك الفاضل؛ بحيث تكون نقطة البداية في دراسة الأخلاق هي تحديد هذه الغاية القصوى.

صحيح أن عامة الناس يكتفون في سلوكهم بالرأي الشائع والمألوف عما هو خير وشر، أي: أنهم يقتصرون على رؤية الأمثلة الجزئية للفضيلة، ولا يمتدون بأبصارهم إلى المبدإ الكامن وراءها، لكن الفيلسوف لا يستطيع أن يفهم الخير من خلال ما يفعله الناس بالفعل؛ بل يبحث في كل شيء عن علته، وعن الأسباب التي تجعله على ما هو عليه(1).

((وأخيرًا الفيلسوف، فأية قيمة سنفترض أنه سيخص به الملذات الأخرى في مقارنة مع معرفة الحقيقة أو مواصلة العادة التي هي لذة من النظام عينه، ألن يعتقدها بعيدة حقًّا عن اللذة الحقيقية؟ ألن يسمى الملذات الأخرى ضرورية بحجة أنه إذا كانت لا ضرورة لها فإنه لن يمتلكها على الأصح؟))(2).

إذن، بهذا التصور أوضح أفلاطون مفهوم الفضيلة التي تنقسم عنده إلى ثلاث فضائل، وذلك بحسب أقسام النفس الإنسانية، التي تنقسم كما عرفنا إلى ثلاث قوى هي: "القوة الشهوانية، القوة الغضبية، القوة العاقلة"، وهي موزعة على الجسد؛ لكونها علة حركته، وذلك على أساس أنها قسمين: القسم الأعلى أو الأرقى وبه القوى العاقلة أو النفس العاقلة ومكانه في أعلى الجسد "الرأس"، حيث يوجد العقل الذي هو بسيط غير مركب ولا يقبل التجزئة، ويمتاز بالأبدية وعدم الفناء.

1- عبد الرحمن بدوي: "أفلاطون"، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط4، 1964م، ص217.

2- أفلاطون: "محاورة الجمهورية"، ك 4 ، ف447، ص211.

أما القسم الثاني فهو: القسم اللاعاقل، وهو يتجّزأ ويفنى، وهذا القسم ينقسم إلى جزأين: الجزء الشريف، وبه القوى الغضبية أو النفس الغضبية ومكانه في الصدر "القلب" وله اتصال بالعقل رغم اختلافه عنه؛ إذ أنه غريزي لا يصدر منه شئ عن تفكير، والجزء الوضيع، وبه القوى الشهوانية أو النفس الشهوانية ومكانه في البطن "تحت الحجاب الحاجز".

((يمكننا أن نفرض بعدل أنهما مبدآن اثنان إذن، وأن كلًّا منهما يختلف عن الآخر فالذي يتعقل به الإنسان يسمى المبدأ العقلاني في الروح، أما المبدأ الآخر الذي به يحب الإنسان ويجوع ويعطش، ويشعر بهياج أية رغبة أخرى، فيمكن تسميته المبدأ اللاعقلاني في الروح أو الشهواني حليف للذات والترضيات المتنوعة))[1].

وبواسطة هذه القوى أو الأنفس يتحدد مفهوم الفضيلة عند أفلاطون، وذلك وفق تحقيق الطبيعة التي تعنى تعيين الحدود لكل فضيلة من فضائل النفس مرتبة بحسب ما وضعت عليه، وذلك كأن تكون فضيلة القوة العاقلة أو النفس العاقلة متمثلة في "الحكمة" التي بها تستطيع أن تميز بين أنواع الخير، وتحديد النفع على أساس الطبيعة، وتليها فضيلة القوة الغضبية أو النفس الغضبية و المتجسدة في "الشجاعة" التي بها تلبي الأوامر التي تصدر عن القوى العاقلة حتى وإن كرهت ذلك، وتأتي أخيرًا فضيلة القوى الشهوانية أو النفس الشهوانية التي هي "العفة" والتي بها يجب أن تضبط نفسها، وتكون في خدمة القوى العاقلة، وذلك باستعانتها بالقوة الغضبية.

ولكن هذه القوى أو الأنفس المختلفة بفضائلها النوعية المحددة لها، لابد لها من فضيلة أخرى تجمعها وتعلو عليها جميعًا؛ لكي يتحقق الانسجام التام بين ما تؤديه من أعمال ومهام؟!

1- المصدر السابق، نفس المحاورة، نفس الكتاب، ص211.

إن هذه الفضيلة عند أفلاطون تتمثل في "العدالة" التي بها تتحقق الوحدة والانسجام التام بين جميع الفضائل الأخرى، وذلك على أساس أن مهمتها تتمثل في الموازنة بين مقتضيات وواجبات كل قوة أو نفس من هذه القوى أو الأنفس.

فالفرد في حياته يؤدي وظائف مختلفة ومتعددة، وهذا التعدد والاختلاف في هذه الوظائف لا يمكن أن يتم عن طريق قوة أو عنصر واحد فقط في الفرد، فالشيء الواحد كما يقول أفلاطون لا يستطيع أن يتصرف ويفعل في اتجاهين متضادين، أو يكون في حالتين متضادتين في وقت واحد، فوجود أفعال أو أحوال متناقضة بين القوى أو العناصر يدل على أن هناك أكثر من قوة أو عنصر مشترك في هذه الأفعال والأحوال التي تخص ذاك الفرد[1].

((الرجل العادل لن يسمح للعناصر المتعددة في داخله أن تتدخل الواحدة منها مع الأخرى، أو أن يعمل أي منها عمل الآخر، وهو يدخل النظام لحياته الداخلية، ويكون سيد نفسه وقوانينه، وفي سلام مع نفسه))[2].

إن هذا الصراع الذي يحدث للفرد، نتيجة تأديته العديد من الوظائف المتعددة والمختلفة، ما هو إلا سر يُفسر به أفلاطون ارتباط النفس بالجسد، إذ أن النفس دائمًا ما تكون واحدة في ماهيتها وجوهرها، لكن بدخولها الجسد تنقسم بحسب أجزاء هذا الجسد إلى هذه القوى أو الأنفس الثلاث؛ لتؤدي وظائفها الثلاث، وبالتالي يحدث الصراع؛ نتيجة أن كل واحدة من هذه القوى أو الأنفس تُريد أن تؤدي وظيفتها باستقلال عن القوتين أو النفسين الأخريين، ولكن لما كانت القوة أو النفس العاقلة أحد هذه القوى فإنها لابد أن تتدخل لتنظيم عمل القوتين أو النفسين الأخريين "الغضبية والشهوانية".

((ألن تسمح للوفاق والخلاف، للقبول والامتناع، والجذب والدرء، في أن تكون كلها متضادات، سواء اعتبرناها فاعلة أو مفعول بها))[1].

1-A.Zeller, Out Lut Lincs Of The History Of Greek philosophy. Tran Slated L.R.palmer,Cambridye University. New York, 1931, P 181. by

2- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة الجمهورية"، ك 4، ف 447، ص211.

هكذا هو التأكيد الأفلاطوني على وجود الوظائف المتعددة والمختلفة، وما ينتج عنها من أشياء وأقوال متقابلة ومتعارضة، وذلك كما هو واضح في الموافقة والرفض، الجاذبية والتنافر، السعي وراء الشيء والابتعاد عنه؛ لكون أن النفس الإنسانية التي تميل إلى شيء معين تسعى وراءه وتأمل الحصول عليه فترغبه وتتقبله، وفي المقابل نجد عدم توفر الرغبة وانعدام الميول مع الكراهية كلها تنتمي إلى فعل الرفض(2).

إن الشهوات تكون طبقة واحدة، أقواها الجوع الذي هو الرغبة في الطعام، والعطش الذي هو الرغبة في الشراب، واللذان بهما تشعر النفس بالجوع أو العطش، ومن ثم تسعى وراء الطعام والماء بدون تمييز من حيث الكيف والكم، على أساس أنها لا تهتم بشيء سوى أنها تأكل وتشرب فقط، ومع هذا فإنه إذا وجدت قوة أخرى في النفس تدفعها نحو الاتجاه المضاد أي: عدم السماح لها بالأكل والشرب إلا بقدر، فلاشك أنه يجب أن تكون هذه القوة مختلفة عنها(3).

إنها القوة أو النفس العاقلة التي تدرك وتفكر، وتختلف وتعلو عن القوة أو النفس التي تجوع وتعطش، فهي التي يعيش بها الفرد في سعادة دائمة، وذلك عند هيمنتها وسيطرتها على القوة أو النفس الشهوانية، بواسطة القوة أو النفس الغضبية، تلك التي تجعل من الفرد يشعر بالغضب والهيجان، والتي هي غالبًا ما تكون في تعارض مستمر مع القوة أو النفس الشهوانية؛ لكون الفرد قد يكون في حالة نفسية مضطربة، حالة غضب تحدث له عندما يشعر أن شهوته الجامحة والمفرطة تجرّه لفعل شيء ما، لا يتماشى مع مقتضيات عقله، الذي يجعل القوة أو النفس الغضبية تعيش في صراع مستمر، ينتهي بكبح وتقويض جماح وإفراط القوة الشهوانية، وجعلها تحت سيطرة القوة أو النفس العاقلة.

1- المصدر السابق، نفس المحاورة، ك 3، ص207.

2- Plato: Gorgias , P461 .

3- F.M.Corn Ford, From Relgion To philosophy, Princeton University, New York, 1991, P 11456.

((حسنًا! هناك قصة أتذكر أنني سمعتها وأنا أوليها ثقتي، القصة هي أن "ليونثوش بن أكلايوه"، وبينما كان صاعدًا ذات يوم من "البيريوس"، لاحظ الأجسام الميتة تحت الحائط الشمالي وخارجه متمددة على الأرض في مكان إعدامها شعر بالرغبة لرؤيتها، تصارع مع نفسه لبعض الوقت وغطى عينيه أيضًا خوفًا ورعبًا منها، لكن تغلبت عليه مع الوقت هذه الرغبة، ففتح عينيه بقوة وركض نحو الأجسام الميتة قائلًا: انظر أيها الشقي أمتلي من هذا المنظر الجميل))[1].

بهذا التصور هي القوة أو النفس الغضبية بفضيلتها التي هي "الشجاعة" عند الفرد، والتي يجب أن تعمل على إطاعة وتنفيذ أوامر وتوجهات القوة أو النفس العاقلة، بحسب فضيلة "الحكمة"، وذلك من أجل أن يكون الفرد حاصلًا على التوازن النفسي والتوازن الأخلاقي، والانسجام والصحة والسعادة، وبالتالي يكون قد حاز كل الفضائل عن طريق استشعاره للتبصر بسبب هذا الجزء الصغير في نفسه "القوة أو النفس العاقلة" والذي به يعلم بطبيعته كل طائفة بمفردها من الاستعدادات الثلاثة وما ينبغي للكل كوحدة[2].

كما إنه يستشعر "الشجاعة"، إذ أن جزء النفس الذي عنه يصدر الغضب يتبع دائمًا، سواء أساءت الأمور أم سرت، أوامر وتوجهات القوة أو النفس العاقلة الهادية إلى ما يخشي وما لا يخشي، ويستشعر الاتزان بواسطة هذا الانسجام السائد بين الجزء الآخر وهو "القوة أو النفس العاقلة": وبين الجزأين الخاضعين وهما "الغضبية والشهوانية"، ما داما قد أسلما له القيادة ولم ينازعاه السلطة.

1- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة الجمهورية"، ك 2، ص211.

2- أندرية كرسون: "المشكلة الأخلاقية والفلاسفة"، ترجمة: عبد الحكيم محمود – أبوبكر زكري، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط "2"، ب ت، ص56.

الفرد يمتلك كل هذا؛ لأن شؤونه تسير تبعًا للعدل، الذي يعنى العدالة بين القوى أو الأنفس الثلاث: "العاقلة، الغضبية، الشهوانية"، فكل نفس أو قوة تقوم بما هي أهل له، ومن تم تتحقق الصحة التي هي الخير والسعادة الناتجة عن الانسجام الطبيعي[1].

((الصحة تنشأ عن وجود الانسجام الطبيعي بين العناصر المختلفة المؤلفة للبنية الإنسانية، ذلك الانسجام الذي يخضع بعضها لبعض، أما المرض فإنه ينشأ من اغتصاب أي عنصر من عناصر السيطرة والسيادة بدون حق طبيعي له –نعم– وينشأ العدل من الترتيب الذي وضعته الطبيعة بين تلك العناصر، وينشأ الظلم من إعطاء عنصر فيها سيادة ليست له بالطبيعة، فالعدل في النفس ليس إلا هذا الانسجام وهذا الاتزان اللذين يصيرانها سليمة، وليست السعادة إلا أثرًا طبيعيًا لها ونتيجة منطقية له))[2].

وعلى أي حال، فإذا ما تحققت الفضائل الثلاث: "الحكمة، الشجاعة، العفة" للنفس الإنسانية، بحيث خضعت الشهوانية للغضبية، وأذعنت الغضبية للعاقلة، تحققت في النفس خصال الانسجام والنظام، ومن تم عاش الفرد في صحة وخير وسعادة، وذلك على أساس أن العقل يعطي المشورة والرأي السديد، والقوة الغضبية تقاتل حسب تلك النصائح والأوامر، فالفرد إذن، يُقال عنه شجاع بفضل ذلك الجزء الغضبي في طبيعته، وذلك عندما يتمسك بأوامر وتوجهات العقل، رغم معاناته للألم أو غياب اللذة حول ما ينبغي أو مالا ينبغي أن يخشاه، وكذلك يقال عنه حكيم بفضل تلك القوة التي يحكم ويشرع بها، عن طريق المعرفة الكاملة لخير كل جزء في النفس، وسعادة الكل بوصفها وحدة واحدة، وأيضًا يقال عنه معتدل بسب وحدة القوى الثلاث، وتتحقق العدالة عندما لا يكون هناك نزاع أو خصام داخلي بين القوة المدبرة وبين القوتين الأخريين، وبهذا تكون العدالة هي القوة التي تنتج الأفراد، فالإنسان العادل هو

Tran Siated b L.R.Palmer ,P 185. 1- A.Zeller, Out Lines Of The Historg Of Greek philosophy

2- أندرية كرسون: "المشكلة الأخلاقية والفلاسفة"، ص56.

الذي لا يسمح للأجزاء المتعددة فيه أن تتجاوز نطاق وظائفها الطبيعية إلى غيرها، ذاك الإنسان الذي يلتزم بضبط النفس، ومن ثم يصبح في سلام مع نفسه.

ثانيًا: أخلاق الفرد من خلال فكرة الخير الأقصى:

إن أخلاق الفرد من خلال فضائل النفس الإنسانية المشار إليها في المبحث السابق، قد لا تكون عند أفلاطون واضحة وضوحًا كليًا متميزًا، وذلك لكونها دائمًا ما تكون في حاجة إلى الدقة العالية والواقعية الصحيحة، ومن ثم فهي عنده يجب أن تعتمد في وجودها على قيم أخرى أعظم منها، تلك التي يجب أن تتجلى في ذاك الشيء العظيم الذي يجب أن نتعلمه، والمتمثل في "فكرة الخير الأقصى" الذي عن طريقه تكون الأشياء عادلة والأشياء الأخرى نافعة وإيجابية، والذي بدون معرفته لا نستفيد من أية معرفة أخرى(1).

إن جميع الموجودات عند أفلاطون تحقق مثلها بالقياس إلا أنها تحقق غايتها أو خيرها الذي هيئت له، غير أن هذه الغاية لا تكون خيرًا حقيقيًا إلا بقدر اتصالها بغاية المجموع، التي هي "الخير الأقصى"، فالإنسان كالصورة مصغرة للكون، لا يسعه أن يصيب خيرًا أو يكون له وجود حقيقي؛ إلا إذا كان مستمدًا من خير العالم ووجوده الذي هو وجود المثل، ذاك الذي به تتحقق السعادة التي هي غاية كل فعل أخلاقي.

إذن، فماهية الخير الأقصى التي هي السعادة، لا تتحقق إلا من خلال معرفة وإدراك عالم المثل الأفلاطوني الذي يمثل الوجود الحقيقي والوحيد، فكل ما يتصل به هو وحده الحقيقة، بخلاف عالم المادة الذي هو الوجود المحسوس الذي لن يكون خيرًا بالمعني الصحيح(2).

على هذا الأساس يميز أفلاطون بين أنواع الخير تبعًا لهذه التفرقة، وذلك من خلال بروزه في أربع صور، تكمن الصورة الأولى في الخير المناظر للمثل، كما توجد في ذاتها، وتكمن الصورة الثانية في تحقيق هذه المثل في الموجودات الخارجية، عن طريق الانسجام الذي يعني تأمل المثل، كما تكشف عن نفسها في عالم الحس، مع محبة وتقدير لكل ما هو جميل ومرتب

1- A.Zeller, Out Lines Of Greek philosophy, Tran Slated b L.R.Palmer. P 185.

2- توفيق الطويل: "فلسفة الأخلاق"، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ت، ص25.

ومتناغم، وتتمثل الصورة الثالثة في تحقيق هذه المثل عن طريق العلم الصحيح، وذلك بإقامة العلوم المختلفة والفنون الخاصة، وتأتى الصورة الرابعة والأخيرة في الخير الذي هو اللذة الخالية من الألم، تلك اللذة البريئة الخالصة للحواس(1).

تلك أنواع صور الخير التي من خلالها يقدم لنا أفلاطون صورتين متعارضتين له، تتعلق الأولى بالوجود الحقيقي الذي هو وجود المثل، وبالتالي يكون كل ما يتصل بهذه المثل هو الحقيقة المتمثلة في هذا الخير الذي هو كما عرفنا متمثل في السعادة، أما الصورة الثانية فتتعلق بكل ما يتعارض مع وجود المثل، وذلك عن طريق عالم الحس الذي هو الشر كله لكونه غير حقيقي(2).

إن المادة عند أفلاطون هي ما يعترض النشاط الحر للمثل، على اعتبارها تحجب المثل عن أنظارنا وعلى هذا فكلما كان الإنسان أكثر ابتعادًا عن المادة كان محققًا لدرجة أكبر من الخير، أي بمعنى: أن خير الإنسان وسعادته لا تتم إلا بالتحرر من قيود الجسد والعالم الحسي، والعودة إلى عالم المثل الحقيقي، وذلك عن طريق التأمل الفلسفي الذي هو الطريق الوحيد الذي به يرتقى الإنسان قدر الاستطاعة للتشبه بالآلهة التي هي بمثابة المثل عند أفلاطون، كما هو واضح في محاورة "ثياتيتوس"(3).

((لا يمكن أن تضمحل الشرور أبدًا؛ إذ يجب أن يبقي هناك شيء معادٍ ومخاصم للخير على الدوام، بما أن الشرور ليس لها محل بين الآلهة في السماء، فإنها تحوم حول المخلوق الفاني بالضرورة وعلى هذه الكرة الأرضية، في حين أنه يجب علينا أن نهرب بسرعة من الأرض

1- زكي نجيب محمود، أحمد أمين: "قصة الفلسفة اليونانية"، ص143.

2- A. Zeller, Out Lines Of The Historg Of Greek philosophy Tran Slated b L.R.Palmer, P186.

3- Plato: Gorgias, Transl. Into Eng. By: W.R.M. Lamb, The Locb Classical Library, William Heinemann, London, 1953, P 459.

إلى السماء بقدر ما نستطيع، ولكي نهرب يعنى أن نصبح مثل الله، بقدر ما يكون هذا ممكنًا، ولنصبح مثل الله يعني أن نصير تقاة، عادلين وحكماء))[1].

ويزيد أفلاطون على ذلك إذ يقول في محاورة "فيدون"، إن النفس سجينة في الجسد ولابد لها من أن تتحرر منه عن طريق استئصال الشهوات ووأد الرغبات بالمجاهدة والرياضة والزهد في الحياة، وبهذا يتم لها تحقيق السعادة القصوى التي هي الخير الأقصى[2].

كذلك الحال نجد أنفسنا مرة أخرى أمام قول أفلاطون في محاورة "ثياتيتوس"، إذ نراه هذه المرة يقول: إن حياة الفيلسوف "الذي أحرز جميع الفضائل" تكون حياة موجهة نحو الموت، وبالتالي فإن حياة الإنسان عنده –على حد تعبير سقراط– ممارسة الموت، أي: أن الواجب على الإنسان في هذه الحياة أن يتخلص من البدن قدر الاستطاعة، وأن يكون هذا في أقرب وقت ممكن، ولا يتم هذا إلا عن طريق الموت [3].

((في الحقيقة (ياسيمياس)، إن الفيلسوف الحقيقي ينهمك على الدوام في ممارسة الموت؛ ولهذا السبب يكون الموت له أقل رهبة من كل الرجال، انظر إلى المسألة هكذا: إذا كان الفلاسفة مبعدين عن الجسد بكل وسيلة، وإذا رغبوا وأرادوا أن يكونوا وحيدين مع الروح، فكم سيكونون متناقضين مع أنفسهم إذا ما ارتعدوا وتذمروا عندما تلبي لهم هذه الرغبة، بدل أن يبتهجوا في مغادرتهم إلى ذلك المكان، حيث يأملون عندما يصلون أن يكسبوا ذلك الذي رغبوه خلال حياتهم وكانت رغبتهم في الحكمة – وأن يتخلصوا من صحبة عدوهم الجسد))[4].

1- أفلاطون: "محاورة ثياتيتوس"، ترجمة وتقديم: أميرة حلمي مطر، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص192.

2- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة فيدون"، ص314.

3- ول ديورانت: "قصة الحضارة"، مج 4، ج 7، 8، حياة اليونان، ترجمة: محمد بدران، مكتبة الأسرة، 2001م، ص453.

4- أفلاطون: "محاورة ثياتيتوس"، ص377، 378.

والحال أيضًا يتكرر عند أفلاطون في محاورة "الجمهورية"، وذلك عند حديثه عن أسطورة الكهف التي رواها في مستهل الكتاب السابع من هذه المحاورة، وذلك بُغية توضيح نظريته في المثل حيث نجده يقول:

((دعني الآن أبين إلى أي مدى تكون طبيعتنا متنورة أو مظلمة انظر: كائنات بشرية أسكنت في كهف تحت الأرض له ممر طويل مفتوح باتجاه النور وبإتساع داخلية الكهف، لقد وجدوا هنا منذ طفولتهم، وقيدت سيقانهم وأعناقهم، ولا يمكنهم أن يتحركوا أو يروا إلا ما هو أمامهم فقط؛ لأن السلاسل منعتهم من إدارة رؤوسهم، هناك فوقهم وخلفهم نار متأججة من مسافة، وهناك بين النار والسجناء طريق مرتفع ولسوف ترى، إذا نظرت، حائطًا منخفضًا على طول الطريق، كالشريط المنخلي الذي يوضع أمام لاعبي الدمى المتحركة، الذين يعرضون الدمى فوقه، وهناك رجالًا مارين على طول الحائط، يحملون كل أنواع الأوعية والتماثيل وأشكال الحيوانات المصنوعة من الخشب والحجر، والمواد المتنوعة التي تظهر فوق الحائط؟ وبينما هم يحملون أعباءهم، فإن بعضهم، كما تتوقع يتكلم والآخر يلتزم الصمت))[1].

إننا نحن هنا بحسب الزعم الأفلاطوني هذا، أشبه ما نكون في حياتنا الأرضية بهؤلاء الأشخاص المحجوبين عن الحقيقة –حقيقة المثل التي هي الخير الأقصى– فليس طريق الوصول إليها سهلًا، إذ أننا مقيدون بسلاسل يصعب علينا التخلص منها، إنها شهواتنا المتمثلة في حُبنا الشديد لهذا العالم الفاني، إذ لا يستطيع التخلص من هذه السلاسل إلا الإنسان القادر على التغلب على شهواته بكبح وترويض جماح نفسه[2].

بهذا التصور ميّز أفلاطون بين عالم الحس الظاهر وبين عالم المثل الحقيقي، وذلك بُغية إقامة علاقة وثيقة تربط الأخلاق بما بعد الطبيعة، فالتباين القائم بين العالم المحسوس والعالم

1- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة الجمهورية"، ك"7"، ص319.

2- L.R.Palmer, P186.A.Zeller, Out Lines Of The Historg Of Greek Philosohy Tran Slated b L.R.Palmer, P 186.

المعقول، قد تحول عنده إلى تقابل في القيم، الشيء الذي أضحت معه المادة أو الجسد مبدأ كل شر بخلاف العقل الذي هو أساس ومبدأ كل خير.

لكن مع هذا التصور الذي قدمه أفلاطون حول فكرة الخير الأقصى، والمتمثلة عنده في الزهد والإقبال على الموت؛ بإماتة الشهوات والعلائق المتصلة بالوجود الحسي، وذلك من أجل خلوص النفس إلى حياة المثل عن طريق التأمل الفلسفي، الذي يُعدّ السبيل الوحيد لتحقيق فكرة الخير الأقصى، نراه أي –أفلاطون– يرجع إلى الواقع؛ وذلك عند تقديمه لنا صورة ثانيه لفكرته عن الخير[1]، تلك التي تتمثل عنده في الوجود الخارجي الذي تتحقق فيه المثل لكونه هو الآخر ليس شرًا كله كما هو في الصورة الأولى، إنه هذه المرة يحتوى على شيء من الخير، ومن ثم لا ينبغي علينا أن ننصرف عنه انصرافًا كليًا، وإنما يجب أن نتأمله على اعتبار أنه السبيل الوحيد لتكشف وظهور المثل.

هكذا هي صورة الوجود الخارجي "العالم الحس" التي قدمها لنا أفلاطون في حوار "المائدة"، وذلك أثناء دعوته لنا بالإقبال على الملذات والأخذ بالحياة، خصوصًا بعد أن وجد أن معنى الحب رمزي يتجسد في الدافع إلى الحياة ومباهجها[2].

1- الصورة الثانية لفكرة أفلاطون عن الخير، تأتي على أساس أن أفلاطون ظل أمينا للمثال اليوناني الأعلى في الحياة الإنسانية. فهو لم يقل بالاعتدال من أجل التفلسف، ولم يختص بالدعوة إلى النفعية الحسية كما هو الحال عند الفلاسفة المحدثين من أمثال: بنتام، وجون ستيورات مل، الذين جعلوا الفضيلة هي لذة المجموع، بكون الفعل الحق عندهم هو الذي يفضي إلى أكبر قدر من السعادة لأكثر عدد من الناس، إن السعادة التي يقصدها أفلاطون هي مجرد اسم آخر للخير الأقصى ولا شأن لها باللذة. فإذا استطعت أن تتصور إنسانًا عادلًا ومستقيمًا ومع هذا مثقل بكل تعاسة وبؤس ممكن، وحيث لا توجد أية لذة في حياته فإن مثل هذا الإنسان لا يزال سعيدًا بالأخلاق، بعكس ما هو عند السوفسطائية، ومن كان على نهجهم من الفلاسفة المحدثين. انظر: عبد الرحمن بدوى: "أفلاطون"، ص214 - 215. وكذلك: وولتر ستيس: "تاريخ الفلسفة اليونانية"، ص188-189.

2- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة المائدة"، ص177،170.

وكذلك في حوار "فيليبوس" الذي نرى فيه أفلاطون يذهب إلى أبعد من ذلك أثناء بحثه في اللذة وصلتها بالوجود والخير، والتي هي عنده لم تكن شرًا؛ لأنها إن خلت من الألم كانت خيرًا [1]، وإن كان على الأرجح إنه أي –أفلاطون– أراد بهذه اللذة الاغتباط بالحكمة، وليس اللذة الجسدية التي جاهد في إبطالها، وبالتالي لا يكون بين الصورتين تعارض يمكن أن يوصف بالتناقض كما تصور البعض[2].

((قال فيليبوس إن المتعة واللذة والبهجة ونوع الإحساس المجانس لها، قال إنها جيدة لكل مخلوق حي، في حين أؤكد أنا أنها عكس ما يطرحه، بل أثبت أن هذه كلها هي أفضل الأشياء، ومرغوبة أكثر من اللذة لكل القادرين على أن يشاركوا فيها وأقول: إن اقتناءها من قبل كل هؤلاء الذين يكونون أو سيكونون أبدًا، أقول إن اقتناءهم لها هو الشيء الأكثر نفعًا في العا لم))[3].

إذن، بهذا التصور تكون الحياة المفضلة عند أفلاطون، التي هي ليست الحياة الخالية من الحكمة، ولا حياة الحكمة الخالية من اللذة، وإنما هي خليط من "اللذة والحكمة"، وذلك على اعتبار أن الإنسان الذي يقضي حياته في بحر من الملذات، كيف يشعر إذا كان يعيش في حبور وسرور أم لا، كيف يكون له هذا وهو لا يمتلك عقلًا ولا ذاكرة، ولا علمًا ولا رأيًا صحيحًا صادقًا، مبنيًا على الإدراك؟.

1- F.M.Corn Forn University, From Reliyion To philosophy ,Princeton, New York, 1991, P 116.

2- يرى وولتر ستيس في كتابه: "تاريخ الفلسفة اليونانية"، ص322 : أن هاتين الصورتين المتضادتين بينهما صراع يهدف كل منهما أن يسود الآخر، كذلك يقول: "سد جويك" أيضًا، إن أفلاطون أخذ يتذبذب في رأيه بين هاتين الصورتين، وأيضًا يزعم "برنت"، بأن تعاليم هذه المحاورات "البارمنيدس، فيدون، الجمهورية"، ليست هي من تعاليم أفلاطون، وإنما هي من تعاليم أستاذه سقراط، وما دور أفلاطون فيها إلا دور الناقد لها.

3- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة فيليبوس"، ص279.

((لكن إذا لم تمتلك عقلًا، ولا ذاكرة، ولا معرفة، ولا رأيًا صحيحًا فإنك في المقام الأول ستجهل مطلقًا ما إذا كنت مسرورًا أو عكس ذلك؛ لأنك ستكون خاليًا من الفهم بشكل كامل))[1].

والحال نفسه في الإنسان الذي يمتلك العقل والحكمة والمعرفة بعيدًا عن اللذة أو الألم، ويكون غير متأثر بهذه الملذات والألم، كيف يعيش بدون أحاسيس ومشاعر، كيف يشعر بشرور العالم الحسي ومباهجه المادية[2].

إن هذين النوعين من إنسان اللذة بدون الحكمة، وإنسان الحكمة بدون اللذة، هما عند أفلاطون اختارا هذه الحياة، ولكن ليس بإرادتهما الخاصة، بل بواسطة الجهل أو تحت ضغط ما، فكلتا الحياتين "حياة اللذة بدون حكمة، وحياة الحكمة بدون اللذة" لا تمتلكان الخير.

ولكن أين يذهب الإنسان؟ كيف يعيش؟ وماذا يختار أن يفعل؟

وهنا يُجيب أفلاطون باندماج كلتا الحياتين في حياة واحدة، يعيش فيها الإنسان ليس من أجل اللذة وحدها، وإنما مع العقل الذي يتغلب على اللذة.

((إن العنصر الذي يجعل هذه الحياة المختلفة مرغوبًا فيها وجِيدة، إن هذا العصر هو أكثر مجانسة ومماثلة للعقل منه للذة))[3].

ذاك العقل الذي يختلف عن اللذة في تصنيف أجناس الموجودات الأربعة، والذي ذكره أفلاطون عند تحديده لماهية الحياة المختلطة ومكان اللذة والعقل فيها.

((إذن، فإني أسمى الصنف الأول اللامتناهي أو غير المحدود، وأسمى الثاني المتناهي أو المحدود، ثم يلي الصنف الثالث بعدئذ، إنه الكائن الذي يأتي إلى الوجود بمزج هذه العناصر))[4].

1- المصدر السابق، نفس المحاورة، ص279.

2- عبد الرحمن بدوي: "موسوعة الفلسفة"، ج"1"، ص284.

3- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة فيليبوس"، ص298.

4- المصدر السابق نفسه، المحاورة نفسها، ص306.

إن ماهية الحياة المختلطة التي يقصدها أفلاطون تكمن في النوع الثالث "نوع المزيج"، فاللذة في هذا النوع تنتمي إلى الأمور القابلة للأكثر والأقل، الشيء الذي جعلها في صنف اللامتناهي؛ الذي لا يستطيع أن يكون ذلك العنصر الذي يفضى عليها درجة من درجات الخير، على اعتبار أن الألم بما يحمله من شرور متضمن في هذا التصنيف، بينما العقل الذي ينتمي إلى الصنف الرابع الناتج من سبب المزج والنشوء بين اللامتناهي والمتناهي – هو المسؤول عن المنافع الكبرى بين أبناء الجنس البشري.

إنه العقل الذي هو بخلاف اللذة والألم اللذان يتولدان من طبيعتهما في الجنس البشري الناشئ عن اللامتناهي والحد، والصائر حيًا وفقًا للطبيعة، فالإنسان يتألم إذا انحل الانسجام فيه، ويلتذ عندما يعود هذا الانسجام إلى طبيعته المألوفة، كما هو واضح في حالة الجوع التي هي ضرب من الانحلال والألم، وحالة الأكل التي هي ضرب من اللذة، فاللذات والآلام انفعالات النفس والجسد معًا، وهناك ضرب من اللذة والألم يحدث في النفس دون الجسد، ويدين بولادته للذاكرة فقط، كما هو في النفس عندما ترجو التملي فتلامسه بالذاكرة وتستمتع بذكره، وهي في نفس الوقت تتألم مع ذلك؛ لأنها فارغة مما تتوق إليه فهي تتألم وتجادل في آن واحد.

((أولا يمتلك هو لذة الذاكرة عندما يأمل بالامتلاء وبرغم أنه يكون فارغًا؟ ألا يكون هو في ألم في الوقت عينه))[1].

ويؤكد أفلاطون أيضًا بأن اللذة والألم لا يكونان في صدق دائم، فقد يخطئ كل من اللذة والألم هدفه الذي به يتألم أو الذي به يتنعم[2].

((هل تقول أن أحدًا بدأ أنه ليبتهج قط ولم يبتهج برغم ذلك، أو بدأ أنه يشعر بالألم ولم يشعر به مع ذلك))[1].

1- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة فيليبوس"، ص322.

2- إميل برهييه: "تاريخ الفلسفة اليونانية"، ج "1"، ترجمة: وجورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1987 م، ص136.

كما أنه أيضًا تتولد اللذة فينا مرارًا على أثر ظن كاذب والألم كذلك، وكما أن الظن يسمى شريرًا وفاشلًا عندما يغدو كاذبًا، كذلك الملذات لا تكون شريرة إلا إذا كانت كاذبة، وعلى الجملة فالتحولات العظيمة في العناصر تخلق فينا الآلام والملذات، أما التقلبات المعتدلة والضئيلة فلا تخلق البتة لا لذة ولا ألما [2].

وبهذا التصور يفترض أفلاطون وجود ثلاثة أنواع من الحياة، واحدة قوامها اللذة وهي سارة، وأخرى أساسها الألم وهي مؤلمة وموجعة، وحياة ثالثة حيادية لا مؤلمة ولا سارة، ويخطئ أولئك الذين يؤكدون أن غياب الألم لذة؛ لأن انتفاء الألم ووجود اللذة من طبيعتين مختلفتين.

ويذهب أفلاطون عند بحثه عن الطبيعة الحقيقية للملذات إلى تلك التي توصف بأنها الأكثر تطرفًا والأكثر اتقادًا لا الملذات الأكثر خفة التي تحدث في المرض وليس في الصحة[3].

((أو لسنا محقين إذن، عندما نقول: إنه إذا رغب شخص في أن يرى الملذات الأعظم فلا ينبغي أن يذهب وأن يبحث في حالة الصحة بل في حالة المرض))[4].

إن ملذات المرض عند أفلاطون هي الأكثر عنفًا؛ لكونها تظهر في الخلاعة والفسق أكثر منها في الاعتدال الذي توصف به الصحة، ويكبح من خلاله المعتدلين جماح شهواتهم ورغباتهم.

كذلك يقول أفلاطون بوجود ملذات تمتلك ظاهر الواقع فقط، ولا تمتلك وجودًا على الإطلاق، وأخرى تكون ممتزجة بالآلام، وثالثة حقيقية يكون الطلب عليها مؤلما وبدون وعي، تلك التي يمتلكها الحس مباشرة لكونها سارة وغير مصحوبة بألم، فهي ملذات الألوان الجميلة والأشكال الحسنة والروائح والأنغام.

1- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة فيليبوس"، ص323.

2- نفس المصدر السابق، ص325.

3- Plato: Gorgias, P 463.

4- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة فيليبوس"، ص339.

وأيضًا هناك ملذات المعرفة التي هي عند أفلاطون غير ممتزجة بالألم، ولا يمتلكها إلا القلائل جدًا من الناس، فهي صنف الملذات المتوازن الصافي، الذي يختلف كل الاختلاف عن صنف الملذات المختلفة التي هي تتولّد على الدوام، وبالتالي فهي ليس لها وجود حقيقي على أساس أنها من أجل مخلوق ما، تتجدد بالتولد، ومن ثم لا تكون في صف الخير، وإنما هي في صف الآلام والشرور الناتج عن ذلك الشخص الذي جعل من التوالد غايته الأسمى؛ عن طريق اختياره للتوالد والدمار معًا على أساس أنهما ضدّ لبعضهما.

((إن من يختار ذلك إذن، فإنه سيختار التولد والدمار بدل اختياره النوع الثالث من أنواع الحياة الذي ليس فيه لا لذة ولا ألم، كما قلنا بل فيه الأفكار الأنقى الممكنة))(1).

هكذا هي إذن ملذات المعرفة عند أفلاطون، التي يتكشف لنا من خلالها الخير، عن طريق العقل الذي نميز به العلوم والفنون عند التقاء النقي منه بغير النقي، فلابد أن نشترك في هذا المزيج أولًا، ومن ثم نخلطه بغيره من الفنون الراسخة، لتصبح توليفة متجانسة من العلوم الراسخة والعلوم الأقل رسوخًا، والفنون غير الصافية التي تتخذ مواضيعها من العلم الطبيعي المرئي؛ نظرًا لضرورتها في الحياة البشرية.

إنه المزيج الصادر من الحكمة والعقل، وبالتالي فلا وجود فيه للملذات العظمى والأكثر اتقادًا التي يتعذر معها كما قلنا الوصول إلى الخير والوجود، بل هي مزيج الملذات الحقيقية والنقية وغير المشوبة بالألم، مزيج الملذات التي تصاحب الصحة والاعتدال ومن ثم فهي مثل الآلهة(2).

((هل ترغبان امتلاك الملذات الأعظم والأكثر اتقادًا لرفاقكما بالإضافة إلى الملذات الحقيقية؟ سيقولان: لماذا يا سقراط؟ كيف نستطيع أن نفعل ذلك؟ آخذين بعين الاعتبار أنها

1- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة فيليبوس"، ص390.

2- A.Zeller, Out Lines Of The Historg Of Greek Philosopy Tran Slated b L.R.Palmer, P187.

أصل عشرات الآلاف من المعوقات التي تمنعنا من الوصول إلى الخير؛ إنها ترهن أرواح الرجال بجنونها والتي هي مسكن لنا، إنها تعوقنا من الوصول إلى الوجود، وهي الدمار للأطفال الذين يولدون لنا بشكل عام، مسببة لهم النسيان واللامبالاة، لكن الملذات الحقيقية النقية، التي تتكلم عنها، فيمكنك أن تعتبرها من فصيلتنا، وأيضًا تلك الملذات التي تصاحب الصحة والاعتدال، والتي تكون مثل الآلهة ولديها في موكبها كل فضيلة كي تتبعها حيثما تذهب – أمزج هذه الملذات ولا تمزج الأخرى، سيكون هناك حاجة ماسّة للإدراك في أي شخص يرغب في أن يرى المزيج العادل الجميل والتناسق التام، وليجد فيه ما هو الخير الأسمى في الإنسان وفي العالم))[1].

بهذا التصور تتألف الحياة الأفلاطونية، من العقل والحكمة وما يمتزج معها من علوم وفنون، ولذات حقيقية نقية وصادقة، ولكن مع هذا فإنّ أفلاطون مازال يرى في هذا المزيج شيئًا يجعله أكثر قيمة، وبالتالي يكون محبوبا ومرغوبا من قبل الجميع؟.

إنه ذلك الشيء الذي يكون أكثر مجانسة للعقل منه إلى اللذة؛ لكونه الحقيقة والاعتدال والتناسق والجميل، التي بدونها يكون هذا المزيج بلا قيمة على الإطلاق أو هو خليط مشوش ومضطرب يجلب الفوضى والدمار على مقتنية[2].

((أكدت أنا أن العقل كان أفضل بكثير وأكثر امتيازًا من اللذة كعنصر من عناصر الحياة))[3].

إن هذه العناصر التي يقصدها أفلاطون، يكون أولها الاعتدال والتناسق، وثانيها المتناسق والجميل والكامل، والعقل والحكمة هو ثالثها، والصنف الرابع يتشكل من الخيرات التي رأينا أنها تختص بالروح بشكل خاص، كما هو في العلوم والفنون والآراء الصحيحة الأكثر

1- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة فيليبوس"، ص370،369.

2- عزت قرني: "الفلسفة اليونانية قبل أرسطو"، ص215.

3- أفلاطون: "المحاورات الكاملة، محاورة فيليبوس"، ص375.

مجانسة للخير منها إلى اللذة، والخامس يخص الملذات غير المؤلمة – ملذات الروح النقية، التي يصطحب بعضها العلوم، ويصطحب بعضها الآخر الحواس.

إذن، على هذا الأساس تصور أفلاطون ملذات المعرفة، والتي تظهر لذة الخير الأقصى عنده أولًا في معرفة المثل في ذاتها –وهذه هي الفلسفة– ثم في تأمل هذه المثل وهي تكشف عن نفسها في عالم الحس، مع حب وتقدير لكل ما هو جميل ومتسق، ثم في التزود بالعلوم والفنون، وأخيرًا في التمتع بلذات الحس البريئة والنقية، مع استبعاد كل ما هو دنئ وخسيس منها.

الخاتمة:

1- البناء الأبستمولوجي لفلسفة أفلاطون متماسك الحلقات كلٌ مرتبط بالآخر.

2- إن غاية النشاط الأخلاقي عند أفلاطون يجب أن تقع داخل الفعل الأخلاقي لا خارجه، ومن ثم يجب أن نقوم بما هو صواب؛ لأنه صواب، فالفضيلة الأخلاقية ما هي إلا غاية في ذاتها.

3- إن الفضيلة التي ينشدها أفلاطون متمثلة في الفعل الحق المنطلق من فهم عقلاني للقيم الأخلاقية، فمعرفة الأخلاق عنده يجب أن تكون معرفة موضوعية وكلية جامعة تتجاوز حدود الإنسان الفرد.

4- الفضائل الاعتيادية عند أفلاطون ما هي إلا وسيلة نحو بلوغ الفرد للفضائل الفلسفية، لكون أن هذا الفرد لا يستطيع أن يرتقى دفعة واحدة إلى مصاف الفضائل الفلسفية.

5- الأخلاق عند أفلاطون لا تُكتسب من خلال أمثلة جزئية للسلوك الأخلاقي، أو من استقراء للفضائل كما تمارس، بل يجب أن تكون هناك غاية عُليا تتحدد من خلالها قيمة السلوك الفاضل والتي هي (الخير الأقصى).

6- مفهوم الفضيلة ينقسم عند أفلاطون إلى ثلاث فضائل، وذلك بحسب النفس الإنسانية التي تنقسم هي الأخرى إلى ثلاثة قوى: "الشهوانية، الغضبية، العاقلة".

7- فضيلة القوة العاقلة تتمثل في "الحكمة"، وفضيلة القوة الغضبية تتمثل في "الشجاعة"، وفضيلة القوة الشهوانية تتمثل في "العفة".

8- فضيلة "العدالة" عند أفلاطون هي التي تجمع كل فضائل النفس الإنسانية في وحدة واحدة، وذلك حتى يتحقق الانسجام التام فيما بينها.

9- إذا ما تحققت الفضائل الثلاث: "الحكمة، الشجاعة، العفة" للنفس الإنسانية، بحيث خضعت الشهوانية للغضبية وأذعنت الغضبية للعاقلة، تحققت في النفس خصال الانسجام والنظام.

10- ماهية الخير الأقصى التي هي السعادة عند أفلاطون لا تتحقق إلا من خلال معرفة وإدراك عالم المثل الذي يمثل الوجود الحقيقي.

11- الخير عند أفلاطون يبرز في أربع صور: تكمن الصورة الأولى: في الخير المناظر للمثل، والصورة الثانية: في تحقيق المثل في الموجودات، أما الصورة الثالثة فهي: تحقيق هذه المثل عن طريق العلم الصحيح، والصورة الرابعة: تندرج في الخير الذي هو اللذة الخالية من الألم، ومن خلال هذه الصور الأربع للخير عند أفلاطون، تظهر صورتان متعارضتان له، تتعلق الأولى بالوجود الحقيقي الذي هو وجود المثل، والصورة الثانية تتعلق بكل ما يتعارض مع وجود المثل.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

1- أفلاطون: (المحاورات الكاملة)، محاورة الجمهورية "محاورة جور جياس – محاورة ثياتيتوس – محاورة فيدون – محاورة المائدة – محاورة فيليبوس"، ترجمة: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 1، 1994م.

2- أفلاطون: (محاورة ثياتيتوس)، ترجمة وتقديم: أميرة حلمي مطر، دار المعارف، القاهرة، 1986م.

3- أفلاطون: (محاورة الجمهورية)، ترجمة ودراسة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

4- أفلاطون: (محاورة طيماوس)، ترجمة وتقديم: ألبير ريغو، نقلها إلى العربية: الأب فؤاد جرجي بربارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1968م.

ثانيًا: المراجع:

أ–العربية والمترجمة إليها:

1–أندريه كرسون: "المشكلة الأخلاقية والفلاسفة"، ترجمة: عبدالحليم محمود – أبوبكر زكي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط: 2، "ب ت".

2- إميل برهييه: (تاريخ الفلسفة اليونانية)، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط: 1، 1987م.

3- ألبير ريغو: (الفلسفة اليونانية أصولها وتطوراتها)، ترجمة: عبد الحليم محمود، أبوبكر زكي، مكتبة العروبة، القاهرة، "ب ت".

4- توفيق الطويل: (فلسفة الأخلاق)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، "ب ت".

5- زكي نجيب محمود، أحمد أمين: (قصة الفلسفة اليونانية)، مكتبة النهضة المصرية، ط: 8، "ب ت".

6- عبد الرحمن بدوي: (أفلاطون)، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط: 4، 1964م.

7- عبد الرحمن بدوي: (موسوعة الفلسفة) ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، ط: 1، 1984م.

8- عزت قرني: (الفلسفة اليونانية قبل أرسطو)، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين الشمس، "ب ت".

9- محمد فتحي عبد الله، جيهان شريف: (الفلسفة اليونانية مدارسها وأعلامها)، ج1، من طاليس إلى أفلاطون، دار الملكة لنشر وتوزيع الكتب الجامعية، القاهرة، 2003م.

10- وولتر ستيس: (تاريخ الفلسفة اليونانية)، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م.

11- ول ديورانت: "قصة الحضارة"، مج4، ج7-8، حياة اليونان، ترجمة: محمد بدران، مكتبة الأسرة، 2001م.

12- يوسف كرم: (تاريخ الفلسفة اليونانية)، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط: 5، "ب ت".

ب- الأجنبية:

1- A.Zeller, Out Lines Of The History Of Greek philosophy Translated by. L.R.Palmer, Cambridge University, New York,1931.

2- F.M.Com Ford University From Reliyion To philosophy, Princeton, New York, 1991.

3- plato: Gorgias, Transl. Into Eng. By: W.R.M. Lamb, The Locb Classical Library, William Heinemann, London, 1953.